في الذكرى المئة والثانية والستين لاطلاق اصطلاح فولكلور

قاسم خضير
باحث في التراث الشعبي

يحتفل الفولكلوريون في العالم في آب من كل سنة بالذكرى السنوية لاطلاق اصطلاح فولكلور الذي ارتبط من الناحية التاريخية ومن ناحية ابتداعه بـ(وليم جون تومز) وبجمعية الفولكلور الانكليزية.

ان اصطلاح فولكلور يتألف من مقطعين : folkبمعنى الناس وهي الكلمة الانكليزية القديمة folcو loreبمعنى معرفة او حكمة، فالفولكلور حرفيا-معارف الناس او حكمة الشعب.

على الرغم من ان (تومز) هو الذي ابتدع هذا الاصطلاح فالعلماء يرجحون ان الاصطلاح فولكلور ترجمة للكلمة الالمانية (فولكسكندة) التي كانت منذ عام ١٨٠٦م.

فـ(وليم جون تومز) هو اول من صاغ هذا الاصطلاح (فولكلور) وجمعية الفولكلور الانكليزية هي التي اكدت هذا الاصطلاح عندما تأسست في لندن سنة ١٨٧٧,

والذي ورد عرضاً ولكن الرسالة كانت لها غاية اخرى مختلفة تماماً هي محاولة اقناع رئيس التحرير بأن يخصص مساحة من الصحيفة لتسجيل الملاحظات التي ترد بشأن العادات والمعتقدات التي كانت ماتزال باقية في بريطانيا ولقد لقي الموضوع عناية المحرر وهكذا لعدة سنوات متصلة كان يظهر عمود اسبوعي تحت عنوان (فولكلور) وفي سنة ١٨٤٩م تولى (تومز) بنفسه نشر (ملاحظاته،واستفساراته) وتبعته في ذلك الصحافة الاسكتلندية وغيرها من الصحف الاقليمية والتي بلغت في سنة ١٨٦٠م ما لايقل عن عشرين صحيفة تحتوي كل منها على اعمدة اسبوعية لنبذات عن التراث المحلي تحت عناوين مختلفة.

وقد اقترح (تومز) هذا الاصطلاح ليدل على دراسة العادات المأثورة والمعتقدات والاثار الشعبية وكان ذلك في الخطاب الذي بعث به تومز الى صحيفة (ذي اثنيوم) في اغسطس سنة ١٨٤٦م والذي وقعه بأسم مستعار هو (امبروزمرتون) ولم تكن رسالة تومز الى ذي أثنيوم مكتوبة ابتداءً لهذا الغرض وهو الاقتراح بأستخدام اصطلاح فولكلور

وفي العراق نجد ان اول اشارة الى كلمة (فولكلور) وردت في تاريخ الفكر العراقي الحديث كما يقول الاستاذ محمود العبطة المحامي ذكرها كاتب مجهول في مجلة المرشد البغدادية في سنة ١٩٢٧ وهو يترجمها باسم (الخلقيات) والخلقيات : كلمة تركية استعملها الشاعر التركي (ضياكوك ألب) لأول مرة بديلا عن كلمة (فولكلور) في الادب التركي وهي تعني كل مايتعلق بالشعب (اثار الشعب) او المأثورات الشعبية والكاتب المجهول هذا يعرف كلمة الفولكلور بقوله:

(وهي اللغة او الادب الدارج بين العوام وقد اهتم بأمره علماء اللغة حتى اخذوه وبعد ان فكروا بلزوم الاحتفاظ به دونوه بمجاميع عديدة).

تحية لكل الفولكلوريين في العراق وتحية لمحرري الصفحات الفولكلورية في الصحف العراقية وأسرة تحرير مجلة التراث الشعبي.

الشعر الشعبي بين مزدوجين

شاكر لعيبي

لن ينكر عاقلٌ أن هناك ضرورات أدبية وإنسانية تفتقتْ في المحكيات العربية عن شعر شعبيٍ له الكثير من الأنصار والمتلقين. ولن ينكر متابعٌ أن حركة من التجديد العميق قد وصلت إليه عبر أسماء ريادية في العراق ولبنان مثلاً، وأوصلته إلى مصاف لن نشكّ بقيمه الجمالية.

لن نشكّ أيضاً بأن الشفاهي هو جزء من تاريخ الشعر العام في العالم، وأن الشعر الشعبي يقع في صلب الثقافة الشفاهية التي طالما أُعيد الاعتبار لها نظرياً، لكنها بقيت عملياً في إطار الثقافة الثانية الأقل شأناً وهذا موقف لسنا من أنصاره.

لا فائدة من التذكير بنصوص رفيعة المستوى من الشعر الشعبي العراقي (الحديث) يعرفها الجميع، لكن ثمة فسحة صغيرة للتنبيه على ظواهر (ضد- حداثية) في استخدام هذا الشعر الشعبي والإفراط في ركوب مركبه.اليوم في العالم العربي حمى في الترويج للشعر الشعبي في منطقة الخليج وفي العراق على سبيل المثال ولسببين مختلفين: فالشعر النبطي مدعوم خليجياً من الجهات الرسمية، غنيّة الموارد التي تكرّس له الصفحات الطوال في المجلات المحلية والمهرجانات المنقولة فضائياً والجوائز السخية، ويكتبه بعض رموز الدولة في الإمارات العربية المتحدة. الشعر النبطي يصير كأنه رديف للثقافة الشعرية في الدولة النفطية العربية. إنه يستلهم الإرث البدوي ومفرداته واستعاراته ومناخه، ليخاطب بذلك كله طبقةً محدّدة من الوعي، لكنه يود تعميم هذه الطبقة لتكون الدليل الوحيد على الذائقة الشعرية، بل الشعر الممكن الوحيد في تلك المنطقة.

في العراق استخدم النظام العراقي السابق إمكانيات الشعر الشعبي العاطفية وقدراته على التماس مع الوجدان الريفي والقيم العشائرية في تأجيج مشاعر الناس ودمجهم في سياسات النظام وتبرير أو تفسير حروبه، وكلها تحتاج إلى خطاب حماسي مُستلهَم من قيم المجتمع العراقي التي لا يتفق الجميع على صوابها كلها. لقد "استُخدم" الصوت الحماسي وقيم الثأر والكرامة والنخوة والشرف في التبشير بمشروعات سياسية وتمجيد الحرب وتخوين الأعداء الحقيقيين أو الوهميين. وما كان لهذا أن يحدث لو لم يوجد توطين سابق للشعر الشعبي في مكان آخر من الثقافة الشفاهية للمجتمع العراقي مثل الشعر العاشورائي، الندبي، وميراث غناء الجنوب العراقي وتقاليد الشعر الريفي كالأبوذية والمساجلات الشفاهية وغير ذلك. لقد أنتج ذلك شعراً شعبياً وفيراً ومهرجانات كثيرة وأغاني عديدة مستلهمة، جوهرياً، من بعض ذلك الإرث المأتمي، الندبي. بعضها "جميل" وقريب من الروح، والكثير منها تبدو وكأنها تنويعات على "مفاهيم" و"قيم" ثابتة بائدة وإن اختلف موضوعها ومناسبتها. يلاحظ القارئ الكريم بأننا نتحدث عن "الاستخدام" بالمقام الأول للشعر الشعبي دون نسيان مشكلاته الداخلية المشار إليها. إن استخداماً ثابتاً للشعر الشعبي العراقي ظل مستمراً حتى الآن برغم اختلاف السياق وتغير الظرف. بعض الأوساط تعاود إذن استخدام الشعر الشعبي والتبشير به من جديد لاستهدافات محددة. لا تختلف جوهرياً طبيعة الاستخدام اليوم عن استخدام الأمس بشيء.

تبدو اللحظة الحالية من جهة أخرى لحظة خطاب عاطفي، إذا لم نقل حماسياً، قبل أي شيء آخر. وهذا ما يفسّر شيوعاً مفرطاً في المنابر الإعلامية والصحفية والتلفزيونية للشعر الشعبي، بالتوازي مع البهوت الروحي والتكلف والنسق الثابت المستعاد في الكثير من الشعر الفصيح الحديث وقصيدة نثره التي صار البعض في العراق يفضّل الشعر العمودي عليها بسبب قدراته على تأجيج العواطف والحماسة المرغوب بها من قبل بعض الأوساط. إن في العودة إلى العمود الموزون المُقفى بالتوازي مع التبشير بالشعر الشعبي على أوسع نطاق أكثر من دلالة: إنه العود إلى المشاعر العارية النية، وهجران الصوت الهادئ المتأمل. يبدو الأخير وكأن الزمان ليس بزمانه والوقت ليس لصالحه إلى حين.

اللافت للانتباه إن هذا الشعر "يُستخدم" اليوم من الأطرف المذكورة كما من قبل أعدائها اللدودين، حتى أن كلا الطرفين يغترف من قيم العراقيين الموروثة لصالح مشروعه وأهدافه. أما بعض الشعراء الشعبيين فقد استخدموا مؤثرات القصيدة الشعبية مرة في مديح الوضع السابق ومرة في ذمه لصالح الوضع الراهن. هذه الحالة في غاية الالتباس.

ما كان لهذا أن يتمّ، مرة أخرى، لو لم يجر توطين قريب العهد وحرف الإرث الشفاهي العراقي لغير الأغراض التي طلع منها أصلاً، حتى أننا قد نقول إن هناك تشويها لأصول الشعر الشعبي الشفاهية وبداهتها الخلاقة وحكمتها المتأصلة، فهو يبدو بالضبط مثل الرقص الريفي لسيداتنا اللواتي ينثرن شعورهن يمنة ويسرة الذي يعاد تصويره في بعض "الكليبات" بطريقة تنقصها الرفعة.

لنعد التّذكير، لكي لا يُساء تأويلنا، أن هذه الكلمة لا تستهدف البتة خيرة نماذج الشعر الشعبي العراقي التي نحترمها.

حكاية من اليابان

الجنُّ الصغار و الجار الحسود

ترجمة : عادل العامل

في يوم من الأيام ، كان هناك رجل ، اضطُرَّ ، بسبب حلول الظلام وسط الجبال ، للبحث عن مأوىً له في جذع شجرةٍ مجوفةٍ . و عند منتصف الليل ، احتشد جمعٌ من الجنّ الصغار في المكان ؛ و حين تطلّع الرجل من مخبئه ، أصابه الخوف حتى كاد يفقد عقله . و بعد برهة من الوقت ، بدأ الجن بإقامة وليمة ، و راحوا يأكلون و يشربون النبيذ و يتسلّون بالغناء و الرقص ، حتى أصابت الرجل عدوى اللهو ، فنسيَ كل ما يتعلق بخوفه ، و راح يزحف خارجاً من شجرته المجوفة ليلتحق بالقصف و العربدة .

و ما أن أوشك النهار على الظهور ، حتى قال الجنُّ للرجل :

- " إنك لرفيقٌ مرح جداً ، و عليك أن تخرج و تقوم بالرقص معنا مرة أخرى . و يجب أن تعطينا وعداً و تفي به . "

و هكذا قام الجن ، من أجل إلزام الرجل بالرجوع ، بإزالة عُدة كبيرة نمت في جبينه و احتفظوا بها كرهن ، و عندئذٍ غادروا جميعاً المكان ، و مضوا إلى البيت .

سار الرجل إلى منزله و هو غاية في المرح لقضائه ليلةً بهيجة ، و قد تخلص من عُدته في تلك الصفقة . وراح يحكي القصة لجميع أصحابه ، الذين قدموا له التهاني الحارة لشفائه من عُدته تلك . لكن كان هناك جارٌ له يعاني من عدة طويلة الأمد ، و حين سمع عن حسن حظ صاحبه بهذا الشأن ، أصابه الحسد ، فخرج للبحث عن الشجرة المجوفة ، و حين عثر عليها ، قضى ليلته تلك فيها .

فكان الجن الصغار مسرورين جداً لرؤيته ، و هم يحسبونه صاحبهم الذي رقص معهم في تلك الليلة ، و قالوا له :

- " إنك لصاحبٌ طيب إذ تذكّرتَ وعدك لنا بالرجوع ، و عليه فسوف نعيد لك رهنك . "

و قام أحد الجن ، و قد أخرج العُدة المرهونة من جبينه ، بإلصاقها على جبين الرجل ، في أعلى العُدة الأخرى التي كانت فيه آنذاك . و هكذا راح الجار الحسود إلى بيته و هو يبكي نادباً حظه ، و قد أصبح له عُدتان بدلاً من واحدة .

وهذا درسٌ جيد للناس الذين لا يمكنهم أن يروا حظاً حسناً لغيرهم إلا و طمعوا فيه لأنفسهم.

من اسماء محلات بغداد

بغداد ... هرب اهلها وبقيت اسماؤها

اعداد : احياء الموسوي

باب الشيخ:
نسبة الى باب حضرة الشيخ عبد القادر الكيلاني المدفون فيها سنة (٥٦١هـ).

النصة:
سميت بذلك لأنخفاض أرضها عن سائر محلات الاعظمية ولذا فأنها كانت معرضة للغرق بماء النزيز على الدوام.

السفينة:
سميت بذلك في نهاية القرن التاسع عشر نسبة الى سفينة كانت ترسو هناك كل ثلاثة أشهر وكان الأعظميون القدامى يتاجرون معها.

رأس الحواش:
أنشأ سنة ١٩٣١م وهي تمثل أخر عمران الأعظمية وبعدها ثمة بساتين تمتد حتى باب المعظم .

الكريعات:
نسبةالى عشيرة الكريعات العربية التي نزلت بها إبان العصر العثماني.

الصليخ:
تصغير(صلخ):وهو نصف البئر التي تبنى على حافة دجلة وتسقى فيها البساتين والمزارع وكانت تسمى في العصر العباسي بأسم الشماسية وهم خدم الكنائس مما يشير الى كثرة الكنائس والأديرة سابقا هناك

راغبة خاتون :
نسبة الى أحدى سيدات بغداد في أواخر العصر العثماني وهي من أملاكها.

هيبة خاتون
: نسبة الى سيدة صالحة كانت تسكن الأعظمية في أواخر العصر العثماني ودفنت فيها سنة(١٩١٩م)

نجيب باشا:
سميت بأسم محمد نجيب باشا الذي تملك أرضها في أثناء ولايته على بغداد سنة ١٨٤٢م-١٨٤٩م وأليه نسبة المحلة فيما بعد.

الكسرة:
سميت بذلك نسبة الى الكسرة التي حدثت في سدتها من جهة النهر بسبب فيضان دجلة سنة ١٩٢٥م

الوزيرية :
محلة أنشئت على أرض زراعية واسعة تملكها بعض ولاة المماليك في بغداد في أوائل القرن التاسع عشر كانوا يلقبون بالوزراء (الوزيرهي رتبة عثمانية تسند الى كبار الموظفين وبخاصة الولاة في الولايات المهمة)فنسبت اليهم.

العلوازية:
وتسمى خطأ العيواضية والاصل اسمها (الايلوازية)نسبة الى بساتين لرجل من اهل اواخر العصر العباسي يدعى(ايلواز) فعرفت المنطقة به فيما بعد.

الصرافية:
منسوبة الى مالكها وهو احد الصرافيين.

الثعالبة:
لكثرة الثعالب في ارضها.

بوب الشام
: نسبة الى احد ابواب مدينة المنصور المدورة الذي يسمى (باب الشام).

سبع ابكار:
نسبة الى سبع بكرات (كرود)كانت ترفع الماء من دجلة لسقي البساتين.
الكيارة:سميت كذلك لوجود (القير)فيها.

الغزالية:
الارض التي تكثر فيها الغزلان ورد أسمها لأول مرة سنة(١٩٠٨) وكانت موضع الصيد المفضل لولاة بغداد في العصر العثماني .

البتاوين
:منطقة زراعية نسبة الى البتاويين وهي جمع بتاوي وهي مزارعون نزحوا من قرية (لبت)على النهروان شمالي ديالى واقاموافيها أبان القرن التاسع عشر.

أرخيته:
نسبة الى السيدة أرخيته بنت بدر من اهل محلة باب الشيخ وكانت تمتلكها بستانا .ثم أشتراها اليهودي أفرايم بلبلوك سنة(١٩٣٠) وقسمه الى محلات وشوارع .

أبو اقلام:
كانت بستانا للحاج عبد الغني درويش المعروف أبو اقلام نسبة لدخوله في صفقة تجارية وشراء كميات كبيرة من اقلام القصب المستخدمة في الكتابة .

الجادرية:
منطقة زراعية كبيرة يعود نسبها الى مالكيها السابقين وهم ال الجادر المعروفين في بغداد والموصل وحلب وكانوا قد أشتروها من العكابيين في مطلع القرن الحالي وعرف قسم منها بالسبع قصور

الزعفرانية:
قرية قديمة ورد اسمها في العصر العباسي وسميت كذلك لزراعة الزعفران فيها.

محلة البارودية:
نسبة الى البارود خانة وهي بناية كانت تستعمل لخزن البارود .

الفضل:
نسبة الى جامع انشأ بالقرب من قبر الفضل بن سهل بن بشر الشافعي الواعظ البغدادي المتوفي سنة ٥٤٨ هـ

الميدان:
نسبة الى الميدان الذي ظهر في القرن التاسع للهجرة وهو بمثابة ساحة عرضات مخصصة اصلا للاغراض العسكرية.

الكولات:
تنسب الى الكولات وهي جمع كولة وتعني مملوكا. فهي المحلة التي نزلها جنود المماليك في بغداد في عهد توليهم الحكم (١٧٥٠-١٨٣١م)

تحت التكية:
نسبة الى تكية قديمة كانت تقع في اخر محلة قنبرعلي وهي تقع ادنى من التكية..

باب الاغا:
تنسب الى اغا الانكشارية في العصر العثماني والباب معناه الدائرة الرسمية او المقر الرسمي للا غا.

سوق الغزل:
ينسب الى السوق الشهير بتجارة الغزول في العصر العثماني وكان في العصر العباسي جزءا من حرم دار الخلافة العباسية وبني فيه جامع االقصر الذي سمي جامع الخلفاء

الدهانه :
عرفت في العصر العثماني بالدهانة نسبة الى باعة الدهن الذين تكثر محالهم هناك.

المربعة:

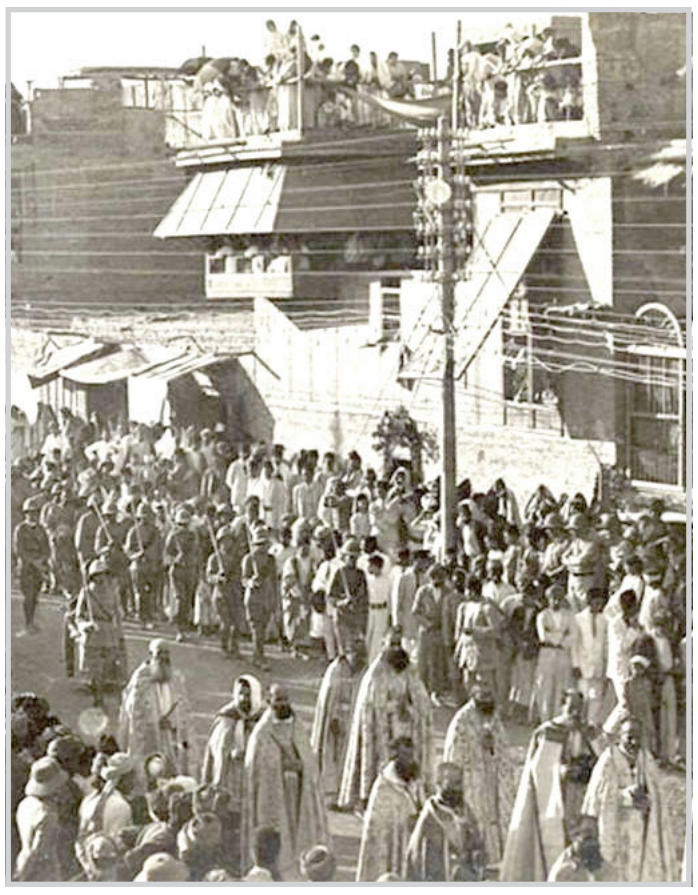

نسبة الى وقوعها على تقاطع شارعين

الصدرية :
عرفت بهذا الاسم في القرن الثامن للهجرة (١٤م)نسبة الى الشيخ صدر الدين ابراهيم الحموئي الشافعي الزاهد المتوفي سنة ٧٢٢هـ والمدفون فيها.

السنك:
عرفت بهذا الاسم بالعصر العثماني وهي كلمة تركية معناها الذباب اشارة الى كونها كثيرة الذباب

الرستمية:
ارض واسعة تنسب الى مالكها القديم (رستم اغا)وكان من امراء المماليك وقد عاش في القرن (١٩م).

الجعيفر:
تنسب الى عشيرةالجعافرة التي نزلت هناك في اواخر العصر العثماني وكانت تسمى في العصر العباسي (الرملة).

الشواكة:
نسبة الى جامعي الشوك المستخدم في الوقود وبائعية.ويرجع اسمها الى منتصف القرن التاسع عشر ..

علاوي الحلة:
وهي جمع علوةنسبت الى باب الحلة من ابواب سور بغداد.

العطيفية:
عرفت بهذا الاسم منذ مطلع العصر العثماني حينما اقتطعت السلطات العثمانية هذه الارض للسيد عطيفة بن رضاء الدين الحسني المتوفي سنة(٩٢٤هـ).

الطارمية:
يعود اسمها الى العصر العثماني ويتكون من مقطعين (طغار) و (ميه) ومعناها ان الارض كانت تنتج حاصلا يساوي مئة طغار مقابل طغار واحد من البذر.

الشالجية:
تنسب لمالكيها القدماء وهم (آل شالجي موسى) أحدى الاسر التجارية في بغداد.

البيجية:
تنسب الى بعض البيكات في القرن التاسع عشر...

الوشاش:
تقع على نهر الوشاش (الخر) ونسبت الى صوت هدير الماء فيه .

الجيبه جي:
نسبة الى مالكيها آل الجيبه جي وهي أسرة بغدادية قديمة أخذت أسمها من الكلمة التركية المؤلفة من مقطعين (جيبه) المحرفه عن (جعبة) أي موضع السلاح و (جي) وهي أداة النسبة للحرفة فيكون معناها وظيفة من كان يوزع السلاح على الجيش والمسؤول عن حفظه.

الدورة:
نسبة الى دورة نهر دجلة الذي يدور حولها من ثلاث جهات . ورد هذا الاسم لاول مرة في مطلع القرن (١٩ م).

الحارثية:
نسبت الى تلول أتربة وهي بقايا قرية كانت في العصر العباسي تدعى (قرية الحارثية).